بَابٌ
مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

.....

هٰذا الباب كالمتمم للباب الذي قبله؛ لأنَّ الذي قبله: «باب فضل التوحيد وما يُكفّر من الذنوب»، فمِن فَضْلِه هٰذا الفضل العظيم الذي يسعى إليه كل عاقل، وهو دخول الجنة بغير حساب.

قوله: «من»: شرطية، وفعل الشرط: **«حقق»**، وجوابه: **«دخل»**، قوله: **«بلا حساب»**؛ أي: لا يُحاسب لا على المعاصي ولا على غيرها.

وتحقيق التوحيد: تخليصه من الشِّرك، ولا يكون إلا بأمور ثلاثة:

الأول: العلم؛ فلا يمكن أن تحقق شيئًا قبل أن تعلمه، قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: الاعتقاد، فإذا علمت ولم تعتقد واستكبرت؛ لم تحقق التوحيد، قال الله تعالى عن الكافرين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٥]؛ فما اعتقدوا انفراد الله بالألوهية.

الثالث: الانقياد، فإذا علمت واعتقدت ولم تنقد؛ لم تحقق التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]. فإذا حصل هٰذا وحقق التوحيد؛ فإنَّ الجنَّة مضمونة له بغير حساب، ولا يحتاج أن نقول إن شاء الله؛ لأنَّ هٰذا حكاية حكم ثابت شرعًا، ولهٰذا جزم المؤلف رحمه الله تعالى بذٰلك في الترجمة دون أن يقول: إن شاء الله.

أمَّا بالنسبة للرّجل المعيّن؛ فإننا نقول: إن شاء الله.

* * *

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وقد ذكر المؤلف في هٰذا الباب آيتين، ومناسبتهما للباب الإشارة إلى تحقيق التوحيد، وأنه لا يكون إلا بانتفاء الشرك كله:

● **الآية الأولى: قوله تعالى:** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً...﴾ الآية.

قوله: ﴿أمة﴾: أي: إمامًا، وقد سبق أنَّ أمة تأتي في القرآن على أربعة أوجه: إمام، ودهر، وجماعة، ودين[2].

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: هٰذا ثناء من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على إبراهيم بأنَّه إمام متبوع؛ لأنَّه أحد الرسل الكرام من أولي العزم، ثم إنَّه ﷺ قدوة في أعماله وأفعاله وجهاده؛ فإنَّه جاهد قومه وحصل منهم عليه ما حصل، وألقي في النار فصبر. ثم ابتلاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالأمر بذبح ابنه، وهو وحيده، وقد بلغ معه السعي (أي: شب وترعرع)؛ فليس كبيرًا قد طابت النفس منه، ولا صغيرًا لم تتعلق به النفس كثيرًا، فصار على منتهى تعلّق النفس به. ثم وفق إلى ابن بار مطيع لله، قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، لم يحنث والده ويتمرد ويهرب، بل أراد من والده أن يوافق أمر ربه، وهٰذا من برّه بأبيه وطاعته لمولاه سبحانه وتعالى، وانظر إلى هٰذه القوة العظيمة مع الاعتماد على الله في قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

فالسين في قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ تدل على التحقيق، وهو مع ذٰلك لم يعتمد على نفسه، بل استعان بالله في قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾. وامتثلا جميعًا

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٠.

(٢) سبق (ص٢٧).

.....

وأسلما، وانقادا لله ـ عز وجل ـ، وتلَّه للجبين؛ أي: على الجبين، أي جبهته؛ لأجل أن يذبحه وهو لا يرى وجهه، فجاء الفرج من الله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤ ـ ١٠٥]، ولا يصح ما ذكره بعضهم من أن السكين انقلبت، أو أن رقبته صارت حديدًا، ونحو ذٰلك.

وقوله: ﴿قَانِتًا﴾: القنوت: دوام الطاعة، والاستمرار فيها على كل حال؛ فهو مطيع لله، ثابت على طاعته، مديم لها في كل حال. كما أنَّ ابنه محمدًا ﷺ يذكر الله على كل أحيانه[1]: إن قام ذكر الله، وإن جلس ذكره، وإن نام، وإن أكل، وإن قضى حاجته ذكر الله؛ فهو قانت آناء الليل والنهار.

وقوله ﴿حَنِيفًا﴾: أي: مائلاً عن الشرك، مجانبًا لكل ما يخالف الطاعة؛ فوصف بالإثبات والنفي؛ أي: بالوصفين الإيجابي والسلبي.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: تأكيد، لاستمراره على التوحيد؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام معصومًا عن الشرك، مع أن قومه كانوا مشركين، فوصفه الله بامتناعه عن الشرك استمرارًا في قوله: ﴿حَنِيفًا﴾، وابتداءً في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، والدليل على ذٰلك: أنَّ الله جعله إمامًا، ولا يجعل الله للناس إمامًا من لم يحقق التوحيد أبدًا.

ومن تأمل حال إبراهيم عليه السلام وما جرى عليه وجد أنه في غاية ما يكون من مراتب الصبر، وفي غاية ما يكون من مراتب اليقين؛ لأنَّه لا يصبر على هٰذه الأمور العظيمة إلا من أيقن بالثواب، فمن عنده شك أو

(١) من حديث عائشة، رواه: مسلم (كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى حال الجنابة، ١/ ٢٨٢).

.....

تردد لا يصبر على هٰذا؛ لأنَّ النفس لا تدع شيئًا إلا لما هو أحب إليها منه، ولا تحب شيئًا إلا ما ظنت فائدته، أو تيقنت. ويجب أن نعلم أنَّ ثناء الله على أحد من خلقه لا يقصد منه أن يصل إلينا الثناء فقط، لٰكن يقصد منه أمران هامان:

الأول: محبة هٰذا الذي أثنى الله عليه خيرًا، كما أنَّ من أثنى الله عليه شرًّا؛ فإننا نبغضه ونكرهه، فنحب إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّه كان إمامًا حنيفًا قانتًا لله ولم يكن من المشركين، ونكره قومه؛ لأنهم كانوا ضالين، ونحب الملائكة وإن كانوا من غير جنسنا؛ لأنهم قائمون بأمر الله، ونكره الشياطين؛ لأنَّهم عاصون لله وأعداء لنا ولله، ونكره أتباع الشياطين؛ لأنَّهم عاصون لله أيضًا وأعداء لله ولنا.

الثاني: أن نقتدي به في هٰذه الصفات التي أثنى الله بها عليه؛ لأنَّها محل الثناء، ولنا من الثناء بقدر ما اقتدينا به فيها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦]. وهٰذه مسألة مهمة؛ لأنَّ الإنسان أحيانًا يغيب عن باله الغرض الأول، وهو محبة هٰذا الذي أثنى الله عليه خيرًا، ولٰكن لا ينبغي أن يغيب؛ لأنَّ الحب في الله، والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان.

*** فائدة:**

أبو إبراهيم مات على الكفر، والصواب الذي نعتقده أن اسمه آزر؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن

وقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾[١].

مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]؛ لأنَّه قال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، وفي سورة إبراهيم قال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، ولٰكن فيما بعد تبرأ منه. أما نوح؛ فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وهٰذا يدل على أن أبوي نوح كانا مُؤمنيْن.

*** فائدة أخرى:**

قال الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل: المغازي، والملاحم، والتفسير؛ فهٰذه الغالب فيها أنَّها تذكر بدون إسناد، ولهٰذا؛ فإن المفسرين يذكرون قصة آدم، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، وقليل منهم من ينكر القصة المكذوبة في ذٰلك[٢].

فالقاعدة إذًا: أنه لا أحد يعلم عن الأمم السابقة شيئًا إلا من طريق الوحي، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩].

* * *

● **الآية الثانية: قوله:** ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾: هٰذه الآية سبقها آية، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥٩.

(٢) انظر: الجزء الثالث باب قول الله تعالى: **﴿فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما...﴾**.

وعَنْ حُصَيْنِ بنِ عَبْدِ الرَّحمنِ؛ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ، .....

لٰكن المؤلف ذكر الشاهد. وقوله تعالى: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾؛ أي: من خوفهم منه على علم، و ﴿مُّشْفِقُونَ﴾؛ أي: خائفون من عذابه إن خالفوه.

فالمعاصي بالمعنى الأعمّ ـ كما سبق ـ[1] شرك؛ لأنّها صادرة عن هوى مخالف للشرع، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

أما بالنسبة للمعنى الأخص؛ فيقسمها العلماء قسمين:

١ ـ شرك.

٢ ـ فسوق.

وقوله: ﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾: يُراد به الشرك بالمعنى الأعم؛ إذ تحقيق التوحيد لا يكون إلاَّ باجتناب الشرك بالمعنى الأعم، ولٰكن ليس معنى هٰذا ألاَّ تقع منهم المعاصي؛ لأنَّ كل ابن آدم خطَّاء، وليس بمعصوم، ولٰكن إذا عصوا؛ فإنَّهم يتوبون ولا يستمرون عليها؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

* * *

قوله: «عن حصين بن عبد الرحمٰن؛ قال: كنت عند سعيد بن جبير»: وهما رجلان من التابعين ثقتان.

(١) انظر: (ص٦٥).

فقالَ: أَيُّكُم رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثم قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ في صَلَاةٍ. وَلٰكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ .....

قوله: «انقضَّ البارحة»: أي: سقط البارحة، والبارحة: أقرب ليلة مضت، وقال بعض أهل اللغة: تقول فعلنا الليلة كذا إن قلته قبل الزوال، وفعلنا البارحة كذا إن قلته بعد الزوال.

وفي عرفنا؛ فمن طلوع الشمس إلى الغروب نقول: البارحة لليلة الماضية، ومن غروب الشمس إلى طلوعها نقول: الليلة لليلة التي نحن فيها. بل بعض العامة يتوسع متى قام من الليل قال: البارحة؛ وإن كان في ليلته.

قوله: «فقلت أنا»: أي: حصين.

قوله: «أما إني لم أكن في صلاة»: أما: أداة استفتاح، وقيل: إنَّها بمعنى حقًّا، وعلى هٰذا؛ فتفتح همزة **«إن»**، فيقال: أما أني لم أكن في صلاة، أي حقًّا أني لم أكن في صلاة.

وقال هٰذا رحمه الله لئلا يظن أنه قائم يصلي فيحمد بما لم يفعل، وهٰذا خلاف ما عليه بعضهم، يفرح أنَّ الناس يتوهمون أنَّه يقوم يصلي، وهٰذا من نقص التوحيد.

وقول حصين رحمه الله ليس من باب المراءاة، بل هو من باب الحسنات، وليس كمن يترك الطاعات خوفًا من الرياء؛ لأنَّ الشيطان قد يلعب على الإنسان، ويُزيِّن له ترك الطاعة خشية الرياء، بل افعل الطاعة، ولٰكن لا يكن في قلبك أنَّك ترائي الناس.

قوله: «لدغت»: أي: لدغته عقرب أو غيرها، والظاهر أنها شديدة؛ لأنَّه لم ينم منها.

قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذٰلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشعبيّ. قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُم؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ؛ أَنَّهُ قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ.

قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلى مَا سَمِعَ.

قوله: «**ارتقيت**»: أي: استرقيت؛ لأنَّ افتعل مثل استفعل، وفي رواية مسلم: «**استرقيت**»؛ أي: طلبت الرقية.

قوله: «**فما حملك على ذٰلك**»: أي: قال سعيد: ما السبب أنَّك استرقيت.

قوله: «**حديث حدثناه الشعبي**»: وهٰذا يدل على أن السلف رضي الله عنهم يتحاورون حتى يصلوا إلى الحقيقة. فسعيد بن جبير لم يقصد الانتقاد على هٰذا الرجل، بل قصد أن يستفهم منه ويعرف مستنده.

قوله: «**لا رقية**»: أي: لا قراءة أو لا استرقاء على مريض أو مصاب.

قوله: «**إلا من عين**»: ويسميها العامة الآن: «النحاتة»، وبعضهم يسميها «النفس»، وبعضهم يسميها «الحسد». وهي نظرة من حاسد؛ نفسه خبيثة، تتكيف بكيفية خاصة فينبعث منها ما يؤثر على المصاب.

قوله: «**حُمَة**»: بضم الحاء، وفتح الميم، مع تخفيفها: وهي كل ذات سم، والمعنى لدغته إحدى ذوات السموم، والعقرب من ذوات السموم.

فقال سعيد بن جبير: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولٰكن حدثنا ابن عباس... إلخ.

إذن؛ فحصين استند على حديث: «**لا رقية إلا من عين أو حُمَةٍ**»، وهٰذا يدل على أنَّ الرقية من العين أو الحمة مفيدة، وهٰذا أمر واقع؛ فإنَّ

.....

الرقى تنفع بإذن الله من العين ومن الحمة أيضًا، وكثير من الناس يقرؤون على الملدوغ فيبرأ حالاً، ويدل لهٰذا قصة الرجل الذي بعثه النبي ﷺ في سرية، فاستضافوا قومًا، فلم يضيِّفوهم، فلدغ سيدهم لدغته عقرب، فقالوا: من يرقي؟ فقالوا: لعل هٰؤلاء الركب عندهم راقٍ، فجاؤوا إلى السرية، قالوا: هل فيكم من راقٍ؟ قالوا: نعم، ولٰكن لا نرقي لكم إلا بشيء من الغنم. فقالوا: نعطيكم. فاقتطعوا لهم من الغنم، ثم ذهب أحدهم يقرأ عليه الفاتحة، قرأها ثلاثًا أو سبعًا، فقام كأنما نشط من عقال، فانتفع اللديغ بقراءتها، ولهٰذا قال ﷺ: «**وما يدريك أنها رقية؟**» (يعني: الفاتحة)[1]، وكذا القراءة من العين مفيدة.

ويستعمل للعين طريقة أخرى غير الرقية، وهو الاستغسال، وهي أن يؤتى بالعائن، ويطلب منه أن يتوضأ، ثم يؤخذ ما تناثر من الماء من أعضائه، ويصب على المصاب، ويشرب منه، ويبرأ بإذن الله. وهناك طريقة أخرى، ولا مانع منها أيضًا، وهي أن يؤخذ شيء من شعاره، أي: ما يلي جسمه من الثياب؛ كالثوب، والطاقية، والسروال، وغيرها، أو التراب إذا مشى عليه وهو رطب، ويصب على ذٰلك ماء يرش به المصاب أو يشربه، وهو مُجرَّب.

وأما العائن؛ فينبغي إذا رأى ما يعجبه أن يُبرِّكَ عليه؛ لقول النبي ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف: «**هلا برَّكت عليه**»[2]؛ أي: قلت: بارك الله عليك.

---

(١) من حديث أبي سعيد، رواه: البخاري (كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية، ٢/ ١٣٦)، ومسلم (كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، ٤/ ١٧٢٧).

(٢) من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، رواه: مالك في «الموطأ» (كتاب العين، باب الوضوء من العين، ٢/ ٩٣٨)، ورجاله ثقات. انظر: حاشية «زاد المعاد» (٤/ ١٦٣).

وَلٰكِنْ حَدَّثَنَا ابنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ.**

إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، .....

قوله: «ولٰكن حدثنا»: القائل: سعيد بن جبير.

قوله: «عرضت علي الأمم»: العارض لها الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ولهٰذا في المنام فيما يظهر. وانظر: «فتح الباري» (١١/ ٤٠٧، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا، كتاب الرقاق)، والأمم: جمع أمة، وهي أمم الرسل.

وقوله: «الرهط»: من الثلاثة إلى التسعة.

قوله: «والنبي ومعه الرجل والرجلان»: الظاهر أنَّ الواو بمعنى أو؛ أي: ومعه الرجل أو الرجلان؛ لأنَّه لو كان معه الرجل والرجلان صار يغني أن يقول: ومعه ثلاثة، لٰكن المعنى: والنبي ومعه الرجل، والنبي الثاني ومعه الرجلان.

قوله: «والنبي وليس معه أحد»: أي: يبعث ولا يكون معه أحد، لٰكن يبعثه الله لإقامة الحجة، فإذا قامت الحجة حينئذ؛ يعذر الله من الخلق، ويقيم عليهم الحجة.

قوله: «إذ رفع لي»: هٰذا على تقدير محذوف؛ أي: بينما أنا كذٰلك؛ إذ رفع لي.

قوله: «سواد عظيم»: المراد بالسواد هنا الظاهر أنَّه الأشخاص، ولهٰذا يقال: ما رأيت سواده؛ أي: شخصه، أي أشخاصًا عظيمة كانوا من كثرتهم سوادًا.

فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هٰذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ؛ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هٰذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُم سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ. فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولٰئِكَ. فَقَالَ بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسولَ اللَّهِ ﷺ.

قوله: «فظننت أنهم أمتي»: لأنَّ الأنبياء عرضوا عليه بأممهم؛ فظنَّ هٰذا السواد أمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

قوله: «فقيل لي: هٰذا موسى وقومه»: وهٰذا يدل على كثرة أتباع موسى عليه السلام وقومه الذين أرسل إليهم.

قوله: «فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هٰذه أمتك»: وهٰذا أعظم من السواد الأول؛ لأنَّ أمة النبي ﷺ أكثر بكثير من أمة موسى عليه السلام.

قوله: «بغير حساب ولا عذاب»: أي: لا يُعذَّبون ولا يُحاسبون كرامةً لهم، وظاهره أنه لا في قبورهم ولا بعد قيام الساعة.

قوله: «فخاض الناس في أولئك»: هٰذا الخوض للوصول إلى الحقيقة نظريًّا وعمليًّا حتى يكونوا منهم.

قوله: «الذين صحبوا رسول الله»: يحتمل أنَّ المراد الصحبة المطلقة، ويؤيده ظاهر اللفظ.

ويحتمل أنَّ المراد الذين صحبوه في هجرته، ويؤيده أنَّه لو كان المراد الصحبة المطلقة؛ لقالوا: نحن؛ لأنَّ المتكلم هم الصحابة، ويدل على هٰذا قول الرسول ﷺ لخالد بن الوليد: **«لا تسبوا أصحابي»**[1]؛ فإنَّ

---

(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رواه: البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا»، ٣/٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، ٤/١٩٦٧).

وقالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإِسْلَام فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا... وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ، فَقَال: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ** .....

المراد بهم الذين صحبوه في هجرته، لٰكن يمنع منه أنَّ المهاجرين لا يبلغون سبعين ألفًا.

ويمنع الاحتمال الأول: أنَّ الصحابة أكثر من سبعين ألفًا، ويحتمل أنَّ المراد من كان مع الرسول ﷺ إلى فتح مكة؛ لأنَّه بعد فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجًا. وهٰذه المسألة تحتاج إلى مراجعة أكثر.

قوله: «الذين ولدوا في الإِسلام»: أي: من ولد بعد البعثة وأسلم، وهٰؤلاء كثيرون، ولو قلنا: ولدوا في الإِسلام من الصحابة ما بلغوا سبعين ألفًا.

قوله: «فخرج عليهم رسول الله، فأخبروه»: أي: أخبروه بما قالوا وما جرى بينهم.

قوله: «لا يسترقون»، في بعض روايات مسلم[1]: «لا يرقون»: ولٰكن هٰذه الرواية خطأ؛ كما قال شيخ الإِسلام ابن تيمية؛ لأنّ الرسول ﷺ كان يرقي[2]، ورقاه جبريل[3]، وعائشة[4]، وكذٰلك الصحابة كانوا يرقون[5].

واستفعل بمعنى طلب الفعل، مثل استغفر؛ أي: طلب المغفرة،

---

(١) في (كتاب الإِيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ١/ ٢٠٠).

(٢) من حديث عائشة، رواه: البخاري (كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، ٤/ ٤٤)، ومسلم (كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين، ٤/ ١٧٢٤).

(٣) من حديث عائشة، رواه: مسلم (كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، ٤/ ١٧١٨).

(٤) رواه: البخاري (كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، ٣/ ٣٤٤)، ومسلم (كتاب السلام، باب رقية المريض، ٤/ ١٧٢٣).

(٥) كما في قصة صاحب السرية.

وَلاَ يَكْتَوونَ ولاَ يَتَطَيَّرُونَ .....

واستجار: طلب الجوار، وهنا استرقى؛ أي: طلب الرقية، أي لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم؛ لما يلي:

١ ـ لقوة اعتمادهم على الله.

٢ ـ لعزَّة نفوسهم عن التذلل لغير الله.

٣ ـ ولما في ذٰلك من التعلُّق بغير الله.

قوله: «ولا يكتوون»: أي: لا يطلبون من أحد أن يكويهم. ومعنى اكتوى: طلب من يكويه، وهٰذا مثل قوله: **«ولا يسترقون»**. أما بالنسبة لمن أُعد للكي من قبل الحكومة، فطلب الكي منه ليس فيه ذلّ؛ لأنَّه معد من قبل الحكومة يأخذ الأجر على ذٰلك من الحكومة، ولأنَّ هٰذا الطلب مجرد إخبار من الطالب بأنَّه محتاج إلى الكي، وليس سؤال تذلل.

قوله: «ولا يتطيرون»: مأخوذ من الطير، والمصدر منه تطيّر، والطيرة اسم المصدر، وأصله: التشاؤم بالطير، ولٰكنه أعمُّ من ذٰلك؛ فهو التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو زمان، أو مكان.

وكانت العرب معروفة بالتَّطيُّر، حتى لو أراد الإنسان منهم خيرًا ثم رأى الطير سنحت يمينًا أو شمالاً حسب ما كان معروفًا عندهم، تجده يتأخَّر عن هٰذا الذي أراده. ومنهم من إذا سمع صوتًا أو رأى شخصًا تشاءم. ومنهم من يتشاءم في شهر شوال بالنسبة للنكاح، ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: «عقد عليَّ رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال؛ فأيكنَّ كان أحظى عنده»[1]. ومنهم من يتشاءم بيوم الأربعاء، أو بشهر صفر.

(١) رواه: مسلم (كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال، ٢/١٠٣٩).

وعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ».

وهٰذا كله مما أبطله الشرع؛ لضرره على الإنسان عقلاً وتفكيرًا وسلوكًا، وكون الإنسان لا يبالي بهٰذه الأمور، هٰذا هو التوكّل على الله، ولهٰذا ختم المسألة بقوله: «**وعلى ربهم يتوكلون**»؛ فانتفاء هٰذه الأمور عنهم يدل على قوة توكُّلهم.

وهل هٰذه الأشياء تدل على أنَّ من لم يتَّصف بها فهو مذموم، أو فاته الكمال؟

الجواب: أنَّ الكمال فاته إلاّ بالنسبة للتّطيُّر؛ فإنَّه لا يجوز؛ لأنَّه ضرر وليس له حقيقة أصلاً.

أما بالنسبة لطلب العلاج؛ فالظاهر أنه مثله لأنَّه عام، وقد يقال: إنَّه لولا قوله: «**ولا يسترقون**»؛ لقلت: إنَّه لا يدخل؛ لأنَّ الاكتواء ضرر محقق: إحراق بالنار، وألم للإنسان، ونفعه مرتجى، لٰكن كلمة «**يسترقون**» مشكلة؛ فالرقية ليس فيها ضرر، إن لم تنفع لم تضر، وهنا نقول: الدواء مثلها؛ لأنَّ الدواء إذا لم ينفع لم يضر، وقد يضر أيضًا؛ لأنَّ الإنسان إذا تناول دواء وليس فيه مرض لهٰذا الدواء فقد يضره.

وهٰذه المسألة تحتاج إلى بحث، وهل نقول مثلاً: ما تُؤكِّد منفعته إذا لم يكن في الإنسان إذلال لنفسه؛ فهو لا يضر، أي: لا يفوت المرء الكمال به، مثل الكسر وقطع العضو مثلاً، أو كما يفعل الناس الآن في الزائدة وغيرها.

ولو قال قائل بالاقتصار على ما في هٰذا الحديث، وهو أنَّهم لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وأنَّ ما عدا ذٰلك لا يمنع من دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب؛ للنصوص الواردة بالأمر بالتداوي والثناء

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُم. فَقَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُم**».

ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فقال: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. .....

على بعض الأدوية؛ كالعسل[١] والحبة السوداء[٢]؛ لكان له وجه.

وإذا طَلبَ منك إنسان أن يرقيك؛ فهل يفوتك كمال إذا لم تمنعه؟.

الجواب: لا يفوتك؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يمنع عائشة أن ترقيه[٣]، وهو أكمل الخلق توكّلاً على الله وثقةً به، ولأنَّ هٰذا الحديث: «**لا يسترقون**...» إلخ إنَّما كان في طلب هٰذه الأشياء، ولا يخفى الفرق بين أن تحصل هٰذه الأشياء بطلب وبين أن تحصل بغير طلب.

قوله: «فقال: أنت منهم»: وقول الرسول ﷺ هٰذا هل هو بوحي من الله إقراري، أو وحي إلهاميّ، أو وحي رسول؟

مثل هٰذه الأمور يحتمل أنها وحي إلهامي، أو بواسطة الرسول، أو وحي إقراري بمعنى أن الرسول يقولها، فإذا أقرَّه الله عليه؛ صارت وحيًا إقراريًا.

لٰكن رواية البخاري: «**اللهم اجعله منهم**» تدل على أن الجملة: «**أنت منهم**» خبر بمعنى الدعاء.

قوله: «ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

---

(١) كحديث ابن عباس مرفوعًا: «الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي»، رواه: البخاري (كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، ٤/ ٣٢).

(٢) لحديث عائشة مرفوعًا: «إن هٰذه الحبة السوداء، شفاء من كل داء إلا من السام». قلت: وما السام؟ قال: «الموت»، رواه: البخاري (كتاب الطب، باب الحبة السوداء، ٤/ ٣٤)، ومسلم (كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء، ٤/ ١٧٣٥).

(٣) سبق تخريجه (ص١٠٢).

فَقَالَ «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١).

● فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ.

الثانية: مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ.

قال: سبقك بها عُكاشة»: لم يرد النبي ﷺ أن يقول له: لا، ولٰكن قال: سبقك بها؛ أي: بهٰذه المنقبة والفضيلة، أو بهٰذه المسألة عُكاشة بن مِحصن. وقد اختلف العلماء لماذا قال الرسول ﷺ هٰذا الكلام؟ فقيل: إنه كان منافقًا، فأراد الرسول ﷺ ألاّ يجابهه بما يكره تأليفًا. وقيل: خاف أن ينفتح الباب فيطلبها من ليس منهم؛ فقال هٰذه الكلمة التي أصبحت مثلاً، وهٰذا أقرب.

* * *

قوله: «فيه مسائل»: أي: في هٰذا الباب مسائل:

● **المسألة الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد**: وهٰذه مأخوذة من قوله: **«يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»**. ثم قال: **«هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيَّرون»**(٢).

● **الثانية: ما معنى تحقيقه؟** أي: تحقيق التوحيد، وسبق لنا في أول الباب أنَّ تحقيقه: تخليصه من الشرك.

---

(١)(٢) رواه: البخاري (كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا، ٤/١٩٩)، ومسلم(كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، ١/١٩٩).

الثالثة: ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

الرابعة: ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِم مِنَ الشِّرْكِ.

الخامسة: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

● **الثالثة: ثناؤه ـ سبحانه ـ على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين**: وهو ظاهر في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]؛ فإنَّ هٰذه الآية لا شك أنها سيقت للثناء على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإذا كان مناط الثناء انتفاء الشرك عنه؛ دل ذٰلك على أنَّ كل من انتفى عنه الشرك فهو محل ثناء من الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

● **الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك**: لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾، وهٰذه الآية في سياق آيات كثيرة ابتدأها الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١]؛ فهٰؤلاء هم سادات الأولياء، وكلام المؤلف من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، أي: الأولياء السادات، وليس يريد رحمه الله السادات من الأولياء، بل يريد الأولياء الذين هم سادات الخلق.

● **الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد**: لقوله: «**الذين لا يسترقون ولا يكتوون**»؛ فالمراد بقول المؤلف: «الرقية والكي»: الاسترقاء والاكتواء.

السادسة: كَوْنُ الجَامِعِ لِتِلْكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلَ.

السابعة: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ بِمَعْرِفَتِهِم أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذٰلِكَ إِلاَّ بِعَمَلٍ.

الثامنة: حِرْصُهُمْ عَلَى الخَيْرِ.

التاسعة: فَضِيلَةُ هٰذِهِ الأُمَّةِ بِالكَمِّيَّةِ وَالكَيْفِيَّةِ.

العاشرة: فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى.

● **السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكّل**: الخصال هي: ترك الاسترقاء، وترك الاكتواء، وترك التطيُّر، يعني أن العامل لهٰذه الأشياء هو قوة التوكل على الله ـ عز وجل ـ.

● **السابعة: عمق علم الصحابة لمعرفة أنّهم لم ينالوا ذٰلك إلا بعمل**: أي: لم ينل هٰؤلاء السبعون ألفًا هٰذا الثواب إلا بعمل، ووجهه أنَّ الصحابة خاضوا فيمن يكون له هٰذا الثواب العظيم وذكروا أشياء.

● **الثامنة: حرصهم على الخير**: وجهه خوضهم في هٰذا الشيء؛ لأنّهم يريدون أن يصلوا إلى نتيجة حتى يقوموا بها.

● **التاسعة: فضيلة هٰذه الأمة بالكميّة والكيفيّة**: أما الكمية؛ فلأن النبي ﷺ رأى سوادًا عظيمًا أعظم من السواد الذي كان مع موسى، وأما الكيفيّة؛ فلأن معهم هٰؤلاء الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيّرون وعلى ربهم يتوكّلون.

● **العاشرة: فضيلة أصحاب موسى**: وهو مأخوذ من قوله: «**إذ رفع لي سواد عظيم**»، ولٰكن قد يقال: إنَّ التعبير بقول: كثرة أتباع موسى أنسب لدلالة الحديث؛ لأنَّ الحديث يقول: «**سواد عظيم فظننت أنّهم أمتي**»، وهٰذا يدل على الكثرة.

الحادية عشرة: عَرْضُ الأمَمِ عَلَيْهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ ـ.

الثانية عشرة: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا.

الثالثة عشرة: قِلَّةُ مَنِ اسْتَجَابَ للأنْبِيَاءِ.

الرابعة عشرة: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ.

● **الحادية عشرة: عرض الأمم عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ**: وهٰذا له فائدتان:

الفائدة الأولى: تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث رأى من الأنبياء من ليس معه إلا الرجل والرجلان، ومن الأنبياء من ليس معه أحد؛ فيتسلى بذٰلك عليه الصلاة والسلام، ويقول: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

الفائدة الثانية: بيان فضيلته عليه الصلاة والسلام وشرفه، حيث كان أكثرهم أتباعًا وأفضلهم؛ فصار في عرض الأمم عليه هاتان الفائدتان.

● **الثانية عشرة: أنَّ كل أمة تحشر وحدها مع نبيها**: لقوله: «**رأيت النبي ومعه الرجل والرجلان**»، ولولا أنَّ كل نبي متميز عن النبي الآخر؛ لاختلط بعضهم ببعض، ولم يعرف الأتباع من غير الأتباع، ويدل لذٰلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨] فإنه يدل على أنَّ كل أمة تكون وحدها.

● **الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء**: وهو واضح من قوله: «**والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد**».

● **الرابعة عشرة: أنَّ من لم يجبه أحد يأتي وحده**: لقوله: «**والنبي وليس معه أحد**».

الخامسة عشرة: ثَمَرَةُ هٰذا العِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاغْتِرَارِ بِالكَثْرَةِ، وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي القِلَّةِ.

السادسة عشرة: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ والحُمَةِ.

السابعة عشرة: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ؛ لِقَوْلِهِ: «**قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلٰكِنْ كَذَا وَكَذَا**»، فَعُلِمَ أَنَّ الحَدِيثَ الأَوَّلَ لاَ يُخَالِفُ الثَّانِيَ.

● **الخامسة عشرة: ثمرة هٰذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة... إلخ**: فإنَّ الكثرة قد تكون ضلالاً، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وأيضًا الكثرة من جهة أخرى إذا اغترَّ الإنسان بكثرته وظنَّ أنه لن يغلب أو أنه منصور؛ فهٰذا أيضًا سبب للخذلان؛ فالكثرة إن نظرنا إلى أن أكثر أهل الأرض ضلّال لا تغتر بهم، فلا تقل: إنَّ الناس على هٰذا، كيف أنفرد عنهم؟ كذٰلك أيضًا لا تغترّ بالكثرة إذا كان معك أتباع كثيرون على الحق؛ فكلام المؤلف له وجهان:

الوجه الأول: أن لا نغترّ بكثرة الهالكين فنهلك معهم.

الوجه الثاني: أن لا نغتر بكثرة الناجين فيلحقنا الإعجاب بالنفس وعدم الزهد في القلة، أي أن لا نزهد بالقلة؛ فقد تكون القلة خيرًا من الكثرة.

● **السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحُمة**: مأخوذة من قوله: «**لا رقية إلا من عين أو حُمة**».

● **السابعة عشرة: عمق علم السلف؛ لقوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولٰكن كذا وكذا»**؛ فعلم أنَّ الحديث الأول لا يخالف

الثامنة عشرة: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ.

التاسعة عشرة: قَوْلُهُ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»: عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

الثاني. لأنَّ قوله: لا رقية إلا من عين أو حُمة لا يخالف الثاني؛ لأنَّ الثاني إنَّما هو في الاسترقاء، والأول في الرقية؛ فالإنسان إذا أتاه من يرقيه ولم يمنعه؛ فإنه لا ينافي قوله: «**ولا يسترقون**»؛ لأن هناك ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: أن يطلب من يرقيه، وهٰذا قد فاته الكمال.

المرتبة الثانية: أن لا يمنع من يرقيه، وهٰذا لم يفته الكمال؛ لأنَّه لم يسترق ولم يطلب.

المرتبة الثالثة: أن يمنع من يرقيه، وهٰذا خلاف السنة؛ فإن النبي ﷺ لم يمنع عائشة أن ترقيه، وكذٰلك الصحابة لم يمنعوا أحدًا أن يرقيهم[1]؛ لأنَّ هٰذا لا يُؤثر في التوكّل.

● **الثامنة عشرة: بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه..**: يؤخذ من قوله: «**أما إني لم أكن في صلاة ولٰكني لدغت**»؛ لأنه إذا كان رأى الكوكب الذي انقض استلزم أن يكون يقظان، واليقظان: إما أن يُصلي، وإمّا أن يكون له شغل آخر، وإما أن يكون لديه مانع من النوم.

● **التاسعة عشرة: قوله: «أنت منهم» علم من أعلام النبوة**: يعني: دليلًا على نبوة الرسول ﷺ، وكيف ذٰلك؟ لأنَّ عُكّاشة بن محصن رضي الله عنه بقي محروسًا من الكفر حتى مات على الإسلام، فيكون في هٰذا علم، يعني: دليلًا من دلائل نبوة الرسول ﷺ، هٰذا إذا قلنا: إنَّ الجملة خبرية وليست جملة دعائية، فإن قلنا: إنها جملة دعائية؛ فقد نقول أيضًا: فيه علم من أعلام النبوة، وهو أن الله استجاب دعوة الرسول ﷺ،

---

(١) انظر: (ص١٠٢).

العشرون: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ.

الحادية والعشرون: اسْتِعْمَالُ المَعارِيضِ.

الثانية والعشرون: حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ.

لٰكن استجابة الدعوة ليست من خصائص الأنبياء؛ فقد تجاب دعوة من ليس بنبي، وحينئذٍ لا يمكن أن تكون علمًا من أعلام النبوة إلا حيث جعلنا الجملة خبرية محضة.

● **العشرون: فضيلة عُكَّاشة**: بكونه ممن يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهل نشهد له بذٰلك؟ نعم؛ لأنَّ الرسول ﷺ شهد له بها.

● **الحادية والعشرون: استعمال المعاريض**: وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، وذٰلك لقول الرسول ﷺ: «**سبقك بها عُكاشة**»؛ فإن هٰذا في الحقيقة ليس هو المانع الحقيقي، بل المانع ما أشرنا إليه في الشرح: إما أن يكون هٰذا الرجل منافقًا فلم يُرد النبي ﷺ أن يجعله مع الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب ولا عذاب، وإمّا خوفًا من انفتاح الباب؛ فيسأل هٰذه المرتبة من ليس من أهلها.

● **الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ**: وذٰلك لأنه ردَّ هٰذا الرجل وسدَّ الباب على وجه ليس فيه غضاضة على أحد ولا كراهة.

* * *